

العنوان:	منهج التأليف في السيرة النبوية عند المحدثين : موسى بن عقبة نموذجا
المصدر:	دراسات (مجلة كلية الاداب والعلوم الانسانية بأكادير) - المغرب
المؤلف الرئيسي:	باقشيس، محمد
المجلد/العدد:	ع 9
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	1999
الصفحات:	67-80
رقم MD:	322926
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	AraBase, HumanIndex
مواضيع:	التراجم، السيرة النبوية، علماء السيرة، الصحابة و التابعون، موسى بن عقبة بن أبي عياش ، ت. 141 هـ، المحدثين ، التأليف
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/322926

منهج التأليف في السيرة النبوية عند المحدثين «موسى بن عقبة نموذجا»

محمد باقشيس

كلية الاداب والعلوم الإنسانية

أكادير

إن الاهتمام بكتابة السيرة النبوية ظهر مبكرا في تاريخ الاسلام وقد تناولها بالتصنيف المؤرخون والمحدثون في جميع القرون المتعاقبة.

أما جيل الصحابة، فإنه «مما لاشك فيه أن جزءا غير قليل من أحاديث رسول الله ﷺ» قد كتب في حياته، وهذه الأحاديث تشتمل على معلومات وافية عن الدعوة والداعية، إلا أن هذه الكتابات كتابات ضمنية لسيرة الرسول ﷺ» (1).

وهناك حوادث جزئية كتبت في وقت مبكر وهي تتعلق بالسيرة النبوية، إذ يبدو أن بعض الصحابة كانوا يسجلون عن وفودهم الى النبي ﷺ، كما يسجلون كل ما وقع أو حدث بحضرتهم... وترى أنه بمرور الزمن يزداد الاهتمام العلمي بالسيرة النبوية، وتبرز أسماء عدد من الصحابة الذين كان لهم دور فعال في هذا المجال، مثل ابن عباس، وعبد الله ابن عمرو بن العاص، والبراء بن عازب، وغيرهم (2).

وقد ثبت عندنا ان ابن عباس (683 هـ) كان يكتب لتلاميذته جوانب من السيرة النبوية حين يسألونه عنها، أو يتعرض لها ضمن تفسير آية يطلب منه تفسيرها. كما نعلم أيضا أن ابن عباس كان يخصص جزءا من يومه لتدريس المغازي، ويصف عبيد الله ابن عبد الله بن عتبة مجلسه فيقول: «ولقد كنا نحضر عنده فيحدثنا العشية كلها في المغازي...» (3).

وكتبه الكثيرة والتي توصف بحمل بعير، كانت مودعة - عند مولاه كريب، والذي وضعها - بدوره - عند موسى بن عقبة صاحب المغازي الشهير، ليستفيد منها طلاب العلم (4).

وأما عبد الله بن عمرو بن العاص وهو أكبر سنا من ابن عباس فقد ثبت عنه أنه سجل عدة غزوات وبعض الحوادث الاخرى عن سيرة رسول الله ﷺ. ومعرفة عبد الله بالقراءة والكتابة وتسجيله لإحاديث النبي ﷺ وتسمية صحيفته بالصحيفة الصادقة مشهورة معلومة - لدى العلماء والمختصين (5).

وفيما يتعلق بالبراء بن عازب (74) فقد علم أنه املئ شيئا كثيرا عن مغازي رسول الله ﷺ وإن لم يثبت أنه سجل ذلك. وبمراجعة صحيح البخاري فقط نستطيع أن نقول، إن أبا اسحاق السبيعي (127) نقل عن البراء بن عازب شيئا كثيرا عن مغازي رسول ﷺ مما يتبين أن البراء قدم معلومات عن عدد كثير من مغازي الرسول، وإن كنا لانملك دليلا قطيعا بأنه قام بتأليف كتاب في المغازي... (6).

وبعد جيل الصحابة رضوان الله عليهم، يأتي جيل التابعين الذين عاشوا في القرن الأول والثاني، فوجد عددا منهم كان لهم دور بارز في تأليف الكتب في المغازي، والاهتمام بالسيرة النبوية وبخلفيتها التاريخية. وأهمهم في هذه الحقبة - أبان بن عثمان بن

(3) سير أعلام النبلاء للذهبي 350/3 وانظر دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه 1216/1.

(4) انظر مغازي رسول الله (ص) لعروة بن الزبير، ص 23.

(5) انظر مغازي رسول الله (ص) لعروة بن الزبير، ص 23.

(6) انظر مغازي عروة، ص 25، 26.

عفان (20-105) . وعامر بن شراحيل الشعبي (19-102) . وعروة بن الزبير (22-92) ، ومقسم مولى بن عباس (101) ، ومحمد بن مسلم بن شهاب الزهري (124) ، وموسى بن عقبة (141) ، ومحمد بن اسحاق (101) ، ووهب بن منبه (114) ، وعاصم بن عمر بن قتادة (119) ، ومعمرب بن راشد (102) ، وسليمان بن طرخان (142) ، وأبو معشر المدائني (225) ، وغيرهم كثير ممن تصدى لدراسة المغازي والسير وألف في ذلك بعد تحمل الروايات المتنوعة عن شيوخهم إما عن طريق الرواية الشفهية أو عن طريق المدونات التي كانت بحوزتهم .

ومن خلال النظرة الأولى للخريطة الثقافية لهؤلاء العلماء والتكوين المدرسي الذي تشرّبوا فيه مادتهم، والتأثير البيئي الذي ترعرعوا فيه يبدو جلياً التمايز في مناهجهم العلمية وتبرز عندنا عدة اتجاهات في التعامل مع السيرة النبوية، فبعضهم تولاها من جهة تاريخية، فأخذ صفة المؤرخ الذي يهمله كثيراً جمع ما أمكنه من الروايات وتدوينها دون أن يشترط الصحة فيما يكتبه، لكنه يحيل القارئ على الأسانيد التي أوردتها ليعرف الصحيح من الضعيف أو الموضوع منها، في حين يتعامل بعضهم الآخر مع السيرة من وجهة حديثة فيضفي على نفسه صفة المحدث الذي يتحرى في قبول الأخبار ويتشبت فيها ويدقق في معرفة الرواة وأحوالهم والأسانيد وشروط صحتها، ويشكل هذا الاتجاه المدرسة الحديثة التي تعني بالآثار والأحاديث، ولكنها مع ذلك كانت تصدى لجميع المرويات في الميادين الأخرى بما فيها السيرة النبوية .

فكان لا بد من سحب هذا المنهج الحديثي الذي يتعامل مع الرواية الحديثية مباشرة إلى أقرب ميدان ليتعامل مع الرواية التاريخية بصفة عامة، وروايات السيرة بصفة خاصة . إن القائمة التي ذكرتها آنفاً للعلماء الذين ألفوا في السيرة والمغازي هم الرواد الأوائل في كتابة السيرة، ويتضح من توثيق نقاد الحديث لبعضهم -في كتب الجرح والتعديل- مما تميزوا به من العدالة والضبط وهما شرطان أساسيان عند العلماء لتوثيق الرواة، ولئن كانوا قد وثقوا عند المحدثين على الرغم من دقة شروطهم في التوثيق، وعلى الرغم من نظرتهم لهم أنهم محدثون مادتهم الأحاديث، وليسوا اخباريين مادتهم الأخبار، فإن هذا التوثيق يعطي كتاباتهم في حقل السيرة قيمة علمية كبيرة (7) .

(7) انظر المجتمع المدني في عهد النبوة، خصائصه وتنظيماته الأولى، د. أكرم ضياء العمري، ص. 46.

إن من حفظ الله تعالى لسيرة نبيه (ص) من الضياع والتحريف، والمبالغة والتهويل، أن هياً لها جهابذة المحدثين، ليعنوا بها ويدونوا أصولها الأولى، قبل أن تتناولها أقلام المؤرخين والقصاصين وهذه ميزة لمصادر السيرة لم تتوفر لغيرها من كتب التاريخ والأخبار (8).

ميزة لكون المحدثين ثقافتهم مأمونين في الرواية، وميزة لكونهم علماء لهم مناهج واضحة في نقد الروايات سنداً ومُسناً، ولهم أسلوب يتسم بالجدية والبعد عن الحشو والمبالغة (9).

وبعد هذا أستطيع أن أقول بأن السيرة النبوية عني بها علماء أمجاد، كانوا بالدرجة الأولى محدثين اعتنوا برواياتها وتخليصها من الاضطراب، وانتقوا منها جيدها فجاءت في ثوب قشيب تطمئن إليها النفس، وفي هذا الوقت المبكر، أخذ التأليف في السيرة النبوية عند المحدثين منهجا مغايرا لكتابات الأخباريين والقصاصين.

وسأكتفي بإلقاء الضوء على واحد من هؤلاء العلماء بالمغازي الذين تخرجوا من المدرسة الحديثية، لتتضح صورة المنهج أكثر. وليكن موسى بن عقبة.

وهذه نبذة عن حياته الشخصية والعلمية:

هو موسى بن عقبة بن أبي عياش، أبو محمد، القرشي مولاهم، الأسدي، المطرفي، المدني، مولى الزبير بن العوام (10).

أما عن ولادته فإن المصادر التي ترجمت له لم تشر إلى تاريخ ولادته، وقد حاول المستشرق هورفتس ان يحدد فترة تقريبية لزمان ولادته بالاستنتاج والحدس، وذلك عندما أخبر موسى عن نفسه أنه حج وابن عمر بمكة عام حج نجدة الحروري، وحججه كان سنة 68، فبين أنه لا يمكن ان يولد بعد عام 55 بكثير (11).

(8-9) انظر المجتمع المدني في عهد النبوة، خصائصه وتنظيماته الأولى، د. أكرم ضياء العمري، ص. 46.

(10) انظر مرويات موسى بن عقبة في المغازي، ذ. محمد باقشيش ص. 15، في تحديد مصادر الترجمة.

(11) المغازي الأولى ومؤلفوها ليوسف هورفتس ترجمة حسين نصار، ص. 9، ص. 69-70.

وموسى بن عقبة يعد من صغار التابعين، إذ أنه لم يسمع إلا من أم خالد بنت خالد بن سعيد بن العاص، وكانت لها صحبة، وأدرك ابن عمر - كما تقدم - وسهل بن سعد الساعدي وأضاف المزي أنه أدرك أنس بن مالك (12).

أما بخصوص الرواية فقد بين ابن عبد البر أنه حدث عن أم خالد بحدِيثها في عذاب القبر وقد أخرجه البخاري في الصحيح والنسائي في السنن.

ويؤكد الحافظ ابن حجر هذه الرواية بقوله: وروى ابن أبي خيثمة عن موسى أنه قال: لم أدرك أحداً يقول: قال النبي (ص) إلا أم خالد (13).

شيوخه: أما عن شيوخه فقد أكثر موسى بن عقبة من الرواية والتلقي بسبب وفرة العلماء من صغار الصحابة وكبار التابعين، وكانت هذه الفترة زاخرة بالمادة العلمية المتنوعة التي سيكون لها تأثير على حياة موسى بن عقبة المعرفية والعلمية من قبل شيوخه.

وبعد تقليب صفحات المصادر المترجمة لموسى نقف أمام عدد لا بأس به من الشيوخ الاعلام الذين تلقى عنهم العلم ومعظمهم من المحدثين، ولا أريد استقصاءهم في هذه العجالة. ولكن أذكر أبرزهم عند العلماء، على سبيل السرد.

منهم: حمزة بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، وأخوه سالم، وسهيل بن أبي صالح وصالح مولى التوأمة، وعبد الله بن دينار، وأبو الزناد عبد الله بن ذكوان، وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج وعروة بن الزبير، وعكرمة مولى ابن عباس، وعلقمة بن وقاص الليثي، وكريب مولى ابن عباس ومحمد بن مسلم بن شهاب الزهري، ونافع مولى ابن عمر، وأبو اسحاق السبيعي، وجده لأمه أبو حبيبة مولى الزبير، وأم خالد بنت خالد بن سعيد بن العاص ولها صحبة كما تقدم (14).

وقد ثبتت روايته عن أمه واسمها فلانة ابنة أبي حبيبة عن أم كلثوم بنت أم سلمة (15).

(12-13) انظر مرويات موسى بن عقبة في المغازي في تحديد بقية مصادر الترجمة، ص. 16-17.

(14-15) انظر مرويات موسى بن عقبة في المغازي في تحديد بقية مصادر الترجمة، ص. 16-17.

آثاره العلمية : إن الثروة العلمية التي حصل عليها موسى بن عقبة وتعب في جمعها والمحافظة عليها كان لابد ان تترك آثارها في الحياة الاجتماعية والعلمية لموسى، ونحن نعلم ان سيمة العصر الذي عاشه موسى يحتم عليه ان ينشر العلم ويبدله لطلابه ولمن سأل عنه كما تلقاه هو عن شيوخه، أو يترك مدونات يزبر فيها علمه يرويها عنه طلابه والعلماء.

ومن خلال هذا الإيضاح نستطيع أن نحدد آثار موسى بن عقبة العلمية الى قسمين: الأول التلاميذ، والآخر المؤلفات.

1. **تلاميذه:** فنحن نعلم أن العلماء كانت لديهم مقاييس يتعرفون بها على شهرة العالم علميا لغزارة علمه ودقة فنه، منها كثرة التلاميذ والطلاب، وشدة الرحلة إليه، وهذا ما حدث فعلا لموسى بن عقبة، فقد روى عنه عدد لا يحصون من التلاميذ، وسأذكر في هذا المكان أشهر التلاميذ من العلماء الفحول في ميدان الحديث وغيره، لنعرف من خلال ذلك مكانة موسى العلمية بين طلابه.

منهم أبو اسحاق الفزازي، وابن أخيه اسماعيل بن ابراهيم بن عقبة راوي المغازي وأبو حمزة أنس بن عياض، وبكير بن عبد الله الأشج وهو من أقرانه، وزهير بن محمد العنبري، وزهير بن معاوية الجعفي، والسفيانان الثوري وابن عيينة، وسليمان بن بلال، وشعبة بن الحجاج، وعبد الله بن المبارك، وعبد الرحمان بن أبي الزناد، وعبد العزيز بن محمد الدراوردي، وعبد الملك بن جريح، ومالك بن أنس (الإمام) ومحمد بن فليح بن سليمان راوي المغازي أيضا، وغير هؤلاء كثير (16).

2. **مؤلفاته:** لقد اتفقت جميع المصادر المترجمة لموسى بن عقبة على أن له كتابا في المغازي صنفه وكتبه، وقد جاء التصريح بنسبته إليه عن الامام مالك حيث قال: عليكم بمغازي موسى فإنه رجل ثقة. طلبها على كبر السن، ليقيد من شهد مع رسول الله (ص) ولم يكثر كما كثر غيره.

وقال أيضا: «من كان في كتاب موسى بن عقبة قد شهد بدرا فقد شهدها، ومن لم يكن في كتاب موسى فلم يشهد بدرا».

وقال ابن معين «كتاب موسى بن عقبة عن الزهري من أصح هذه الكتب».

وقال الإمام أحمد: عليكم بمغازي ابن عقبة فإنه ثقة (17).

ولم تذكر له المصادر سوى هذا المؤلف في المغازي، وعلى الرغم من شهرته في ميدان الحديث وروايته له ورسوخ قدمه فيه إلا أنه لم ينقل عنه أنه ألف فيه أو كتب.

ومع كامل الأسف. فإن الكتاب لم يصل إلينا. لكن -ولله الحمد- قد حفظت معظم مادته في ثنايا وبطون كتب المغازي والسير التي جاءت بعده.

وبعد هذين الأثرين العلميين تتضح مكانة موسى مع كتابه بين العلماء، فقد اتفق جميع العلماء والنقاد على توثيقه وإمامته وصحة كتابه.

كان مالك إذا قيل له مغازي من نكتب قال عليكم بمغازي موسى بن عقبة فإنه ثقة.

وقال أيضا عليكم بمغازي الشيخ الصالح موسى بن عقبة فإنها أصح المغازي عندنا (18).

وقال الشافعي: ليس في المغازي أصح من كتابه مع صغره، وخلوه من أكثر ما يذكر في كتب غيره (19).

وقال أحمد بن حنبل: موسى بن عقبة ثقة (20).

وقال الذهبي عنه: الامام الثقة الكبير... وكان بصيرا بالمغازي النبوية، ألفها في مجلد فكان أول من صنف في ذلك (21).

(17) مرويات موسى بن عقبة في المغازي، ج 1، ص. 18.

(18-19) انظر مرويات موسى بن عقبة في تحديد بقية المصادر، ص. 18.

(20) انظر مرويات موسى بن عقبة في تحديد بقية المصادر، ص. 18.

(21) سير أعلام النبلاء 114/6.

وهذه الثقة الكبيرة التي حظي بها كتاب موسى بن عقبة في نفوس العلماء لم تكن من باعث العاطفة والوجدان، وإنما هي نتيجة دفاع مستميت وغيره على حمى السيرة النبوية، فقد تعرضت السيرة النبوية في زمنه إلى بعض التقلقل وتسرب الشك والاختلاط في رواياتها من قبل بعض العلماء، فكادت ان تفقد رونقها وقيمتها في نفوس بعض الناس، فكانت هذه الحادثة حافزا له في تصديه للدفاع عن سيرة رسول الله (ص) والذب عنها وكشف النقاب عن صحيحها من سقيمها بكل دقة وأمانة.

قال المزي في تهذيب الكمال، قال ابراهيم بن المنذر حدثنا سفيان بن عيينة: قال: كان في المدينة شيخ يقال له شرحبيل أبو سعد، وكان من أعلم الناس بالمغازي، فاتهموه ان يكون يجعل لمن لاسابقة له سابقة وكان قد احتاج فاسقطوا مغازيه وعلمه.

قال ابراهيم: فذكرت هذا الحديث لمحمد بن طلحة بن الطويل، ولم يكن بالمدينة أحد أعلم بالمغازي منه: فقال لي: كان شرحبيل أبو سعد عالما بالمغازي، فاتهموه ان يكون يدخل فيهم من لم يشهد بدرا، ومن قتل يوم أحد، والهجرة ومن لم يكن منهم، وكان قد احتاج فسقط عند الناس.

فسمع بذلك موسى بن عقبة فقال: وإن الناس قد اجترأوا على هذا؟ فذب على كبير السن، وقيد من شهد بدرا واحدا، ومن هاجر إلى الحبشة والمدينة وكتب ذلك (22).

وبهذا العمل الجليل الذي قام به موسى بن عقبة صار إماماً في المغازي ومن أوائل من دونوا في هذا الفن.

- إذا تحققنا من خلال ما سبق ان موسى بن عقبة محدث ثقة مكثر، وان كتابه المغازي جاء نتيجة للدفاع عن المنهجية السليمة في روايات السيرة النبوية التي فقدت شخصيتها عند شرحبيل أبي سعيد - إذا تحققنا هذا - كان لابد ان نتوقع ما سيظهره موسى بن عقبة من أسلوب جديد في كيفية التعامل مع روايات السيرة من وجهة المدرسة الحديثية، خلافا لزملائه وأقرانه من كتاب المغازي الذين توسعوا في الافادة من غير المدرسة الحديثية كابن إسحاق.

منهج التأليف عند المحدثين

1. في الطليعة يبدو ان منهج المحدثين معروف بالتأكيد على صحة الأسانيد وثقة الرواة وسلامة الرويات من الشذوذ والعلل والاعتناء بالتاريخ والوفيات .

وقد طبق موسى بن عقبة هذا المنهج على روايات السيرة تماما . قال عبد العزيز الدروي عن منهج موسى في مغازيه : أما موسى بن عقبة... فقد اتبع بدقة أسلوب مدرسة المدينة، فنجده يعكس تزايد المحدثين على الاسناد، ويبيدي اهتماما خاصا بذكر تواريخ الحوادث، وقد استفاد من مواد كتوبية « وخاصة من آثار أستاذه الزهري ». بالاضافة الى الوثائق والروايات الشفوية المختارة والمنتقاة عن عدة شيوخ - وقد استند موسى بن عقبة بالدرجة الأولى الى الزهري - وهو أول من أكد على اسناد الحديث - وأضاف إلى ذلك بحوثه الخاصة، وبذلك أضاف مادة الى تراث المدرسة (23).

وقال المستشرق جوزيف هوروفتس عن هذا المنهج عند موسى : ونظام الاسناد قاعدة عنده ولايحذف الرواة في المقتبسات المحفوظة عنه الا في القليل منها... ويحتوي كتاب موسى أيضا على حقائق مؤرخة تاريخا سنويا... (24).

2. ومن منهج المحدثين الاهتمام بالانساب الذي يضبط الرواة ويميز بينهم، فلا يشتهب الثقة بالضعيف، ولايلتبس الصحابي بالتابعي، واهتمام موسى بهذا الفن واضح في كل المقتبسات التي نقلت عنه بالنسبة للمشتركين في الغزوات والاحداث المتأخرة، وخاصة الشهداء منهم، فهو يذكر من استشهد في الغزوة أو الوقعة باسمه ونسبه بعد ذكر اسم قبيلته، والقوائم التي أعدها كلها مسندة الى ابن شهاب، واهتمام ابن شهاب بالأنساب معروف عند العلماء - والباحثين، بل ألف في ذلك كتابا (25).

(23) علم التاريخ عند العرب، ص 27 وانظر مرويات موسى في المغازي، ص. 34.

(24) المغازي الأولى ومؤلفوها، ص 71، 72.

(25) انظر السير للذهبي 333/5 ومرويات موسى بن عقبة، ذ: محمد باقشيش، ص. 35.

3. ومن منهج المحدثين في التأليف تقصي الحقائق من غير مبالغة أو تهويل بأسلوب سهل فهم يروون ما تلقوه عن شيوخهم من غير تزيد أو استطراد بما لاصلة له بالموضوع أثناء عرض الرواية، بخلاف ما فعله ابن اسحاق -مثلا- عندما ابتعد عن مدرسة المدينة .

وقد نفذ موسى بن عقبة هذا المنهج على روايات السيرة حيث التزم منهج المحدثين في سوقه للروايات من حيث الأسلوب، وهو أسلوب واضح مباشر، فيه حيوية وسلاسة، بعيد عن المبالغة أو محاولة التأثير مع تمهيد أحيانا للحادثة بمقدمة تضعها في موضعها التاريخي وتجعل الحديث متسلسلا متصلا» (26).

بينما ذهب ابن اسحاق أبعد من حدود مدرسة المدينة، سواء أكان ذلك في نظره التاريخية أم في أسلوبه، فقد جمع بين أساليب المحدثين والقصص في كتاباته، واستفاد من مختلف نواحي الاهتمام بالمغازي وتواريخ الأنبياء فجمع بين الاحاديث والروايات التاريخية -الاسرائيليات والقصص الشعبي مع كثير من الشعر الصحيح والموضوع، ولذا فان مصادر معلوماته تكون خليطا يجلب الانتباه...» (27).

4. وبمناسبة ذكر المصادر، فان المدرسة الحديثية معروفة بأمانة مصادرها، إذ تشترط في أصحابها -سواء عن طريق المدونات أو الرواية الشفوية- العدالة والضبط، ومن شروط العدالة الاسلام الصحيح .

إذن فالمصادر العلمية عند المحدثين في جميع المجالات لا بد أن تأتي عن طريق المسلمين الثقات .

وإذا ما نظرنا الى منهج موسى بن عقبة في هذه الناحية، نجد أن مصادره كلها أتت عن طريق علماء المسلمين المعروفين بين أوساط أهل الحديث والمغازي، كما تتضح في سلسلة الأسانيد التي يقدمها بين يدي الروايات في الغالب، سواء في الفترة المكية أو المدنية .

(26) علم التاريخ عند العرب، ص 76-75.

(27) المصدر السابق، ص 28، وانظر طبقات الشعراء 7-8.

لكن إذا ألقينا نظرة عاجلة على روايات ابن اسحاق عن فترة الرسالة فسنجدها تتفق في مصادرها مع مصادر موسى بن عقبة في الغالب، إذ أنها ترجع في جوهرها إلى أساتذته في المدينة. لذا فإن رواياته في الفترة المدنية فيها طابع جدي أقوى وعناية أوضح بالاسناد.

وأما رواياته عن الفترة المكية فقد وردت في الغالب دون اسناد... (28) أو يوردها بأسانيد واهية ثم إن ابن اسحاق لم يقتصر في مصادره على علماء الاسلام بالحديث والتفسير والمغازي، وإنما رجع الى علماء غير المسلمين، حين كان يورد أخبارا عن الحوادث اليهودية والمسيحية والفارسية، فيذكر بين رواته بعض أهل العلم من أهل الكتاب الأول، أو أهل التوراة، أو من يسوق الاحاديث عن العجم، ويبدو أنه الوحيد بين علماء المدينة الذي قبل مثل هذه الأقوال وقد عيب عليه ذلك فيما بعد (29).

5. ومع هذا التحري في المصادر الاسلامية -في المنهج الأول- فإن قناعة المحدث لا تكتمل حتى يسوق كل معلومة أو حادثة باسنادها المستقل الوارد بها غالبا، زيادة في الامانة العلمية، وهذه هي طريقة موسى بن عقبة في أسانيد المغازي أيضا، فإنه لا يجمع عدة أسانيد في سياق رواية واحدة، بحيث تمتزج ألفاظ تلك الطرق وتتداخل في بعضها فيصعب حينئذ تمييز لفظ كل إسناد، وإنما يسوق لكل رواية إسنادا. كي يتمكن الباحث من الحكم عليه جرحا أو تعديلا.

وهذا ما لم تفعله غير المدرسة الحديثية حيث يقول الدوري في ابن اسحاق... أما في الاسناد فلم يكن دقيقا كما يتطلب أهل الحديث، ولكنه تقدم بطريقة الاسناد الجمعي بكفاءة...» (30).

6. ومن طبيعة التأليف في السيرة النبوية الاستشهاد بالآيات القرآنية المنزلة حسب الوقائع والأحداث، والاستشهاد بالقصائد الشعرية التي قيلت فيها.

(28) علم التاريخ عند العرب عبد العزيز الدوري، ص. 28.

(29) المغازي الأولى ومؤلفوها هوروفنس، ص. 89.

(30) علم التاريخ عند العرب، ص. 29.

وهذا المنهج قد سلكه كل من كتب في السيرة النبوية وألف فيها، وخاصة في الاستشهاد بالآيات القرآنية المناسبة لكل حادثة بعينها.

لكن بالنسبة للقوائد الشعرية فتميز المدرسة الحديثية بالانتقاء والاختيار من القوائد الواردة في الحادثة المعنية وبالأخص ما صحت نسبته لصاحبه. كما تتميز بالاختصار على الشاهد من القصيدة في الاغلب ولا تصردها كلها.

وقد سلك موسى هذا المنحى بحيث ينتقي الأبيات المناسبة للحادثة دون أن يأتي على القصيدة بكاملها، وبهذا يكون استعماله للشعر قليلا، وفي مقابل ابن اسحاق فإنه أكثر استعمالا للشعر ويذكر القصيدة كلها وان كانت طويلة، ولا يكتفي بواحدة فقط بل يورد عدة قصائد قيلت في تلك الحادثة مما يفقد الربط بين وحدات الموضوع الذي هو بصدده.

وقد أشار إلى هذه المنهجية بصفة عامة من حيث التزام الدقة والتحري دون حشو أو استطراد الحافظ الكبير الامام الذهبي حيث قال وهو يوازن بين مغازي موسى بن عقبة وسيرة ابن اسحاق وبعد أن حكى كلام الامام مالك في سياق ثنائه على موسى «ولم يكثر كما كثر غيره». قال هذا تعريض بابن اسحاق، ولا ريب أن ابن اسحاق كثر وطول بأناسب مستوفاة، اختصارها أملح، وأشعار غير طائفة حذفها أرجح، وبآثار لم تصحح، مع أنه فاته شيء كثير من الصحيح لم يكن عنده، فكتابه محتاج الى تنقيح وتصحيح، ورواية مافاته.

وأما مغازي موسى بن عقبة فهي في مجلد ليس بالكبير، سمعناها وغالبها صحيح ومرسل جيد، لكنها مختصرة تحتاج الى زيادة بيان وتممة.

وقد أحسن في عمل ذلك الحافظ أبو بكر البيهقي في تأليفه المسمى بكتاب دلائل النبوة» (31).

- إذا تصورنا هذه المنهجية السليمة لتأليف السيرة والمغازي عند المحدثين التي طبقها موسى بن عقبة في كتابه ورواياته، أدركنا تماما السبب المباشر في اعتماد هذه المنهجية وتأثيرها على معظم المؤلفات العلمية المتنوعة في التفسير والحديث والسيرة والمغازي والتاريخ العام والفقهاء والدلائل والشمائل.

ويمكن ان نطلع على ذلك جلياً عند موسى بن عقبة حيث اعتمدت عليه جميع المؤلفات التي جاءت بعده بل والتي عاصرته، فهم يرجعون إليه في جل القضايا ويغترفون من روافده ويقتبسون من رواياته المختصرة والمطولة بل يرجحونها على كثير من روايات غيره في الغالب .

واقتراسات المصنفين في فن المغازي والسير من مغازيه له سبيلان، إما عن طريق حق الرواية بالسماع أو بالاجازة، فيذكرون أسانيدهم إلى موسى . وإما عن طريق الوجدادة والنقل مباشرة من الكتاب .

ولم يقتصر هذا الاعتماد لروايات موسى بن عقبة على كتاب السيرة وحدهم، بل ظهر هذا الاعتماد على رواياته بشكل واضح على جميع المؤلفات الحديثية التي جاءت بعده، فيخرجون رواياته في أصولهم سواء أكانت في الاحكام أم في المغازي . وهذا يؤكد اعتمادهم على رواياته وتوثيقهم له بشكل عام .

وأبرز المعتمدين عليه من كتب السنة أصحاب الكتب الستة والمسند، وهي أكثر الكتب تداولاً واستعمالاً بين الناس . فموسى إذن من رجال الجماعة .

وخلاصة القول، إن موسى بن عقبة رحمه الله يعد من الائمة الثقات الأثبات الذين كان لهم دور بارز في نشر السنة المطهرة والسيرة النبوية الممنهجة على قواعد المحدثين بكل دقة وأمانة، حتى أصبحت رواياته عمدة لمن جاء بعده من المحدثين وأهل السير والخباريين .

وبهذا يكون قد تحصل لدى الباحثين المعاصرين في الدراسات الاسلامية فنانة وارتياح في تعاملهم مع روايات السيرة النبوية من المدرسة والوجهة الحديثية .

